فشلت فشلاً ذريعاً في خلق بدائل لمنظمة التحرير الفلسطينية، ومخاطر رفض الاتصال المباشر مع المنظمة، وخلص الى ان على اميركا، وبالتالي اسرائيل، استيعاب الحقائق، والانضمام للاجماع الدولي الذي يرى ضرورة الوصول لتسوية سياسية تعترف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، ووجود دولتين لهما حدود آمنة ومعترف بها. ومن هنا تأتي أهمية هذا الكتاب الذي صدر في وقت تمر فيه القضية الفلسطينية بمرحلة حرجة في ضوء التعنت الاسرائيلي، ورفض منطق السلام، والدعم الاميركي الأعمى لاسرائيل.

وركّز الكتاب، في مجمله، على وقائع الغزو الاسرائيلي للبنان، والمواقف الاميركية ـ الاسرائيلية من التدخل، ليكشف عن طبيعة العلاقات بين الطرفين، التي تتسم بالتطرف والعدوانية المفرطة، والتي بلغت أقصاها في ما عبّر عنه مثقف اسرائيلي من أصل غربي بقوله: «يجب ان تكون اسرائيل دولة مجنونة حتى يفهم الناس أننا بلد متوحش، خطير على جيرانه، ويمكن ان يحرق حقول النفط، أو يشعل حرباً عالمية بكل سهولة، ويستخدم الاسلحة الذرية اذا اقتضى الامر، وعندئذٍ سيتصرف جيرانه بكل حذر»... وهي «نظرية الجنون» نفسها التي دافع عنها الرئيس الاميركي الاسبق، ريتشارد نيكسون، خلال الغزو الاسرائيلي للبنان بقوله: «كانت الحرب اللبنانية رائعة لكنها لم تبلغ المدى المطلوب»، وكذلك «من المؤسف اننا لم نمح عشّ الدبابير كلية من على وجه الارض» مشيراً بذلك الى مخيم عين الحلوة، كما أشار الى مذابح صبرا وشاتيلا بقوله: «كان يجب علينا أن نفعل ذلك بأيادينا».

وحلّل تشومسكي موقف المجموعتين السياسيتين الرئيستين في اسرائيل من قضية الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحقه في اقامة دولته المستقلة، وخلص الى انهما تختلفان في الوسائل، فكلاهما ينوي الاحتفاظ بمرتفعات الجولان وقطاع غزة، أمّا الضفة الفلسطينية فالليكود يطالب ببسط السيادة الاسرائيلية عليها، في حين يفضّل تجمع العمل احتفاظ اسرائيل بالسيطرة على مواردها وجزء من أراضيها، والتغلّب على المشكلة الديموغرافية بترك سكانها دون دولة أو تحت نوع من الادارة الاردنية وضمان السيطرة العسكرية الاسرائيلية، ولمّا كان موقف العمل أقرب الى الموقف الاميركي، فقد رحّبت الادارة الاميركية بعودته الى الحكم.

يبقى ان كتاب ناعوم تشومسكي إضافة جديدة للمكتبة العربية، ويساهم في زيادة معرفة القارىء العربي بواحد من أهمّ المفكّرين والكتّاب الاميركيين المؤيدين للحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، والداعين لموقف اميركي متوازن تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي.

خالد الفيشاوي